إلى بنت الخليج

أبو طلحة محمد يونس بن عبد الستار

نزيل المدينة المنورة (زادها الله شرفًا)

(☎ مكتب ٨٣٦٨٣٨٢ منزل ٨٣٨٠٥٣٧)

مكة المكرمة ت منزل ٥٤٢٤٢٨٠ - ٥٤٥٢٥٨٠

ح أبوطلحة محمد يونس عبدالستار ، ١٤١٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
عبدالستار ، محمد يونس
رسالة من المدينة المنورة إلى بنت الخليج
٢٠٠ ص ١٢ × ١٧ سم
ردمك ٤ - ٢٢ - ٧٠٠ - ٩٩٦٠
١ - المرأة ٢ - التوبة ٣ - الوعظ والارشاد أ - العنوان
ديوي ٢١٣ ١٥/١٨٣٣

رقم الايداع : ١٥/١٨٣٣
ردمك : ٤-٢٢-٧٠٠-٩٩٦٠

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ
سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ
ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

الأحزاب : ٢٨-٢٩

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/ ٤٨١ : هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله ﴿ﷺ﴾ بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ماعنده من ضيق الحال ، ولهن عندالله تعالى في ذلك الثواب الجزيل ، فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة . اهـ .

فعلى الفتاة المسلمة

أن تقتدي بأمهات المؤمنين فتختار ما أختار الله لها في كتابه وعلى لسان رسوله ﴿ﷺ﴾ على ما سواه لتحيا حياة طيبة كريمة وتصيب خير الدنيا وسعادة الآخرة.

وهذا وعد من الله عز وجل ، وهو لا يخلف الوعد على خلقه ، وهو صادق المقال على كل حال ، وقد أعلن الله تعالى به قائلا : مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

النحل : ٩٧

والصلاة والسلام على سيد المرسلين

سبب تأليف الرسالة

قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم» رواه الشيخان عن سهل بن سعد .

نظراً إلى أهمية هذا الإرشاد المبارك والنصح في الدين كتبت هذه الرسالة ذكرة لوالدتي المحترمة مخاطباً إلى بنات العالم عامة وبنات المسلمين خاصة ، وبناءً على ذلك سميتها باسم :

بدلا من «بنت الإسلام» لكي يستفيد منها جميع البنات ، المسلمات وغيرهن .

وثانيا : يحتمل أن ينتفع بها غير المسلمات أكثر من المسلمات ، لأن بعض النساء يفقن بعضهن في الفهم والذكاء والفقه كما قال رسول الله ﷺ في حديثه المشهور :

«نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع» رواه الترمذي وابن ماجه كما في المشكاة (كتاب العلم) .

وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ﴾ الحجرات : ١١

«ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والإستهزاء بهم ، وهذا حرام فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدراً عندالله وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له» قاله ابن كثير ٢١٣ /٤ .

ولأن ديننا الإسلام أعطى الفرصة لأعدائه للنظر والتبصر فقال سبحانه وتعالى لنبيه ﴿ﷺ﴾ :

﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ التوبة : ٦.

قوله : ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ أى القرآن تقرأه عليه وتذكر له شيئا من أمر الدين تقيم به عليه حجة الله . قاله ابن كثير .

وأعطىٰ الفرصة لابداء أى اعتراض أو مفهوم أو برهان في نفس المعارض والمعاند فقال :

﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾ البقرة : ١١١.

وطلب من المشركين أن ينظروا ويتفكروا في أمر الدين تارة منفردين وتارة مجتمعين ، وذلك بعقد المجالس والندوات للتشاور في حقيقة الدين وحقيقة الداعي محمد ﴿ﷺ﴾ فقال :

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦﴾ سبا : ٤٦

يقول تبارك وتعالى : قل يامحمد ! لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون ﴿إنما أعظكم بواحدة﴾ أى إنما آمركم بواحدة ﴿أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جِنَّة﴾ أى تقوموا خالصا لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضا هل بمحمد من جنون فينصح بعضكم بعضا ﴿ثم تتفكروا﴾ أى ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﴿ﷺ﴾ ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ويتفكر

في ذلك ... إلخ . كما في التفسير لابن كثير ص ٥٤٤ ج ٣ .

بل وأعظم من هذا وذلك أنه أعطى الثقة للمعاند ، ليتقدم ويتكلم ويحس بنفسه وبموقعه ، وبأنه كائن حي له عقله فلا بد أن يعقل ، وله فهمه فلا بد أن يفهم ، وبعد هذا التعقل والتفهم لا بد أن نسمع منه ثمرة عقله وثمرة فهمه ، فقال تعالى :

وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ سبإ : ٢٤ .

هكذا أمر الله تعالى نبيه محمداً ﴿ﷺ﴾ أن يقول للمشركين الذين لا دين لهم صحيح ولا عقيدة معتبرة عند الجدال والمناقشة: «أي واحد من الفريقين مبطل ، والآخر محق ، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال بل واحد منا مصيب ....» مابين القوسين من التفسير لابن كثير ص ٥٣٩ ج ٣ .

ومن هذا المنطلق أقدم هذه الرسالة إلى جميع البنات المسلمات وغيرهن من كن وحيث كن .

وكانت والدتي المحترمة تتمنى أن تصبح كل بنات حواء - عليها السلام - ملكات الدين ، وتسجل اسماؤهن في أحباء الدين الإسلامي السامي ، لذا فإنها أملت في آخر أيام حياتها على زوجة أخي الكبير محمد يوسف المكي - بمكة المكرمة - رسالة صغيرة ، وبينتْ فيها كل ماكانت تخفي في صدرها من كلام الله وكلام رسوله ﴿ﷺ﴾ ، ثم أمرتني بكتابة هذه الرسالة كتابة واضحة وطباعتها كي تستفيد منها جميع البنات والأخوات رجاء من الله سبحانه أن يرجعن إلى الله كل الرجوع .

وللأسف ! لم تخرج هذه الرسالة إلى حيز الوجود في حياتها لأن خدمتها أيام مرضها شغلتني عن المقصود ، وبعد ستة أشهر من مرضها توفيت - رحمها الله - في شهر رجب ١٤١٢هـ بمكة المكرمة بسبب فشل الكِلية ، ودفنت في مقبرة

المعلى بمكة المكرمة قرب قبر والدتها ، قدر الله لهما ولجميع المسلمين نومة العروس في القبر آمين .

روى أن الميت إذا نجح في أسئلة الملكين - منكر ونكير - يقولان له : «نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه» رواه الترمذي في الجنائز قال الألباني : حديث حسن .

يا بشرى هذه الرسالة

أقدمها إلى جميع أخواتي في مشارق الأرض ومغاربها خلاصة كلمات والدتي المحترمة بالإضافة إليها بعض الكلام .

ونحن نتمنى أن تترجم هذه الرسالة إلى جميع اللغات وترسل إلى كل من بلاد العرب والعجم كي تحقق أمنية أمي المحترمة ، وتنام في القبر نومة هادئة .

فالرجاء من الأخوات أن يقرءن هذه الرسالة المرسلة إليهن من مدينة المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - مهبط الوحي ومأرز الإيمان ومفتاحه لفهم الغرض الأصلي لا لمضي الوقت والحصول على التلذذ بل عليهن أن يعلمن بأنفسهن أولا ، ثم يشوّقن ويرغبن الأخوات الأخريات إلى قراءة هذه الرسالة أو غيرها من الكتب الإسلامية التي تذكر الآخرة باستمرار ، لأن الكتب ليست لزينة الدواليب بل هي ثروة حياة الإنسان وتقوية للإيمان ، وقراءتها برغبة وحب ترفع روح الإيمان ، وتكرار التذكير ينفع الإنسان كما قال تعالى :

وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ الذاريات : ٥٥

وقد ذكر الله سبحانه أن من صفات المؤمنين والمؤمنات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائلا :

وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ التوبة : ٧١

فإن كنتن المؤمنات أيتها الأخوات ! فعليكن بهذه الصفة أخذاً بقول الله تعالى المذكور وبقول الرسول ﷺ الآتي :

كما في الحديث الصحيح : قال رسول الله ﷺ : «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد - الواحد - إذا اشتكى عضواً تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمّى» متفق عليه كما في المشكاة باب الشفقة والرحمة على الخلق .

أختي العزيزة ! ويا جوهرة الكون المكنونة ! اعلمي مكانتك في الإسلام ، قد شرفك الله بأنك والدة الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - وأنت التي أنجبت الأولياء الكاملين والأتقياء والصالحين ، ولا شك أن كل إنسان في الدنيا ثمرة فؤادك .

وهل خلقت أنت يا أمة الله ! لتشترين الطماطم والبطاطس وغير ذلك من الخضراوات والأدوات المنزلية والأكسسوارات والمجوهرات من السوق بأرخص الأسعار ثم تبدئين وتخبرين الصديقات بأنك اشتريت كذا وكذا وتفرحين بذلك ، ولا تذكرين الله عز وجل كما كان حقه ؟

ألا ! إنك أفضل الخليقة ، ولا يليق بشأنك إلا أفضل الأمور وأحسنها ، ﴿وَتَرْجُوْنَ مِنَ اللّٰهِ مَا لَا يَرجُون﴾ النساء : ١٠٤ .

فـ﴿مَالَكُمْ لَا تَرْجُوْنَ للّٰهِ وَقَاراً وَقَد خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ نوح : ١٣.

فإن كنتن تردن في الدنيا حسنة وحياة طيبة ، وفي الآخرة حسنة وحياة طيبة فتحلين بالإيمان وابذلن الجهد ، واقدرن حياتكن وأنفاسها المعدودات حق قدرها ، لترضين الخالق جل وعلا ورسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه كما هو شعار المؤمنين والمؤمنات قال تعالى :

﴿واللّٰهُ ورَسُوْلُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إنْ كَانُوا مُؤمنِينَ﴾ التوبة : ٦٢ .

ويا أختي العزيزة ! قد وهب الله تعالى لكل إنسان أنفاساً معدودات ، فإذا أنفقها الإنسان في اكتساب الخيرات بعقل

وشعور ، فلا حد لمنافعه في حياته وبعد موته ، وبالعكس إذا أنفقها في أمور شنيعة وقبيحة وما قدرها حق قدرها ، فقد ضاع رأس المال كله - وهو حياته وأنفاسه - فضلا أن ينال به المنافع الدنيوية والأخروية ، بل يعد هذا الإنسان من طائفة المجرمين الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله فيصير به لا يعلم إلا ظاهراً من الحياة الدنيا والانتفاع بها من الأكل والشرب كما قال تعالى في هؤلاء المجرمين :

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾ المرسلات : ٤٦

وقال : ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ مريم : ٨٦

نعوذ بالله من ذلك .

والذي لم يصرف رأس ماله هذا (أى عمره) في أمور مفيدة فقد فَقَدَ المنافع ورأس المال جميعا .

وما هذا تمثيل فقط بل يؤيده الحديث الصحيح :

«.....كل الناس يغدو فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها» .

صحيح مسلم «كتاب الطهارة» باب فضل الوضوء رقم : ٢٢٣

وقد سيق هذا الاطلاق في كتاب الله أيضا وعبر عن الإيمان والعمل الصالح بالتجارة كما قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الصف : ١٠

فإذا كان رأس المال هو العمر والإنسان يتجر به فإن التاجر الكيس والعاقل الذكي هو الذي يستفيد من شيء زائل وفان في كل لحظة لئلا يكون من الخاسرين والخائبين في الدنيا والآخرة.

يحكى أن شيخا ذهب عند بائع الثلج فقال : قد فهمت تفسير سورة العصر بتجارة بائع الثلج هذا ، بأنه لو غفل هذا البائع عن تجارة الثلج وبيعه فقد ذهب رأس ماله كله بشكل الماء .

فلذا أقسم الله سبحانه بالعصر أى بالزمان ونبه بقوله :

وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾

العصر : ١ - ٣

وقال الشاعر :

حياتك أنفاس تعدُّ فكلما مضى نفسٌ منها انتقصتَ به جزءا

فعليك ياأختي ! أن تشغلي نفسك في تقوية الإيمان والأعمال الصالحة على كل حين لئلا تزداد حسرتك وندامتك وحزنك يوم يعض الظالم على يديه ويقول ياليتني لم أتخذ فلانا خليلا .

ففكري ياأختي واختاري الله ورسوله ﷺ والدار الآخرة مادمت في قيد الحياة في دار الاختيار لم تطو صحيفتك وإلا:

فالزمان كالمرأة الحبلىٰ سوف ترين ما تضع

وقال الشاعر :

وسوف ترى إذا انكشف الغبار أفرس تحت رجلك أم حمار

وقال تعالىٰ ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾ القمر : ٢٦

فالبدار البدار فيما ينفعك ياأختي ! ويرفع قدرك عندالله ، وإياك والتسويف فإنه شر ، والإنسان معرض للآفات والشواغل الكثيرة.

وقال ابن الجوزي رحمه الله : هذا العمر اليسير يشترى به الخلود الدائم في فراديس الجنان ، والبقاء الذي لا ينقطع كبقاء الرحمن ، ومن فرط في العمر في الخسران ، فياخيبة ! المفرط الحيران ، فينبغي للعاقل أن يعرف قدر عمره ، وأن ينظر لنفسه في أمره ، فيغتنم مايفوت استدراكه وربما حصل بتضييعه هلاكه اهـ .

وهذا الشاعر ينبهنا ونفسه على الاستعداد للآخرة ويقول :

محمد ما أعددت للقبر والبلى ... وللملكين الواقفين على القبر
وأنت مصر لا تراجع توبة ... ولا ترعوي عما يذم من الأمر
سيأتيك يوم لا تحاول دفعه ... فقدم له زاداً إلى البعث والنشر

وأخيراً أرجوك ياأختي ! إذا دعوت لنفسك أو للأقارب فادعي لوالدتي المحترمة ، واقرىء سورة الإخلاص بإخلاص مرة واحدة أو ثلاث لأنها ثلث القرآن :

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤

ثم اهدي ثوابها[1] إلى والدتي (عائشة رحمها الله) لو تفعلين اليوم هكذا يفعل الله بك غدا مثله لأن الله لا يضيع أجر المحسنين و ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ الرحمن : ٦٠ .

وصل اللهم وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

ابن عائشة
أبوطلحة محمد يونس عبدالستار
ص ب : ١١٠١ المدينة المنورة
ت مكتب ٨٣٦٨٣٨٢ (٤ -٠٠٩٦٦)
فاكس ٨٣٨٣٤٢٦ - منزل ٨٣٨٠٥٣٧
المملكة العربية السعودية

(١) قال النووي رحمه الله في مؤلفه «كتاب الأذكار» باب ماينفع الميت من قول غيره : اختلف العلماء في وصول الثواب بقراءة القرآن ، فالمشهور من مذهب الشافعي وجماعة أنه لا يصل، وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء وجماعة من أصحاب الشافعي إلى أنه يصل ، فالاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه : «اللهم أوصل ثواب ماقرأته إلى فلان» والله أعلم . انتهى ماقاله النووي رحمه الله تعالى .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين .

بنت الخليج العزيزة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

أختي العزيزة ! ياأمة الله ! يامحمية هذا الدين ! ويأمل هذه الأمة المحمدية ! وياجوهرة هذا المجتمع !

اعلمي ! أن الله سبحانه قد كرمك وهداك لهذا الدين الإسلامي ، وشرفك بنعمة كلمة التوحيد - لا إله إلا الله محمد رسول الله - ﴿ﷺ﴾ ، فلو أن رجلا من الناس كان يملك جوهرة من الجواهر السنية لحفظها وأبعدها عن أعين الحاسدين .

فالله سبحانه وتعالى أنزل في كتابه سوَراً عديدة ، وبعض من هذه السور سماها باسمه المبارك كسورة الرحمن ، وسورة المؤمن ، ومنها : باسمِ حبيبه المصطفى ﴿ﷺ﴾ كسورة محمد ، وياسين ، والمزمل ، والمدثر ، ونزول السورة من فوق سبع سماوات باسم أحد يدل على عظمته عندالله سبحانه .

وخصك الله أيتها المرأة ! وأنزل الله سورة كاملة باسم «سورة النساء» ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عظمة شأنك عندالله سبحانه ، ولا نجد في القرآن سورة الرجال كما نجدها

باسم «سورة النساء» ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وكذلك شرفك الله أيتها المرأة ! وأنزل الله سورة في القرآن باسم السيدة مريم العذراء بعينها كـ«سورة مريم» وهي المرأة الوحيدة التي ذكر الله اسمها في القرآن ، وأنزل سورة كاملة باسمها لعظم شأنها وطهارة قلبها وعفة جوارحها ، وهكذا أنزل الله سبحانه في القرآن باسم «سورة المجادلة» ، وبيَّن فيها بعض المسائل المتعلقة بالنساء استغاثة لامرأة بائسة التي كانت تجادل الرسول ﷺ في زوجها وتشتكي إلى الله وتبكى ، وقد بدأ الله سبحانه هذه السورة قائلا :

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ المجادلة : ١ .

ولهذه المرأة قصة غريبة ذكرها الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤ /٣١٩ وقال : «لقيتْ امرأة عمرَ يقال لها : خولة بنت ثعلبة وهو يسير مع الناس ، فاستوقفته فوقف لها ودنى منها وأصغى إليها رأسه ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت ، فقال له رجل : ياأمير المؤمنين ! حبست رجالات قريش على هذه العجوز ، قال : ويحك وتدري من هذه ؟ قال : لا ، قال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ، هذه خولة بنت ثعلبة ، والله ! لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفتُ عنها حتى تقضي حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضى حاجتها . اهـ .

وفي رواية : أتدري من هذه ؟ هذه خولة بنت حكيم الذي سمع الله صوتها من السماء ، فعمر أحرى أن يسمع قولها ويقتدى به .

وهل تعرفين ياأمة الله ! من أول من آمن من كافة الناس ذكرهم وأنثاهم ؟ نعم ، إنها والدتك أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، أول قلب خفق بالإيمان برسالة محمد ﷺ ، وهي أمكن يا أخواتي ! خديجة بنت خويلد التي آمنت برسول الله ﷺ إذ كفر الناس به ، وصدَّقته إذ كذَّبوه ، وواسته إذ حرموه ، فكانت خير عون له ﷺ في تثبته أمام الصعاب الشدائد ، وهي أول امرأة قرأ عليها جبريل السلام من ربِّها وبشَّرها ببيت في الجنة كما في الحديث الآتي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى جبريل النبي ﷺ فقال : يارسول الله ! هذه خديجة قد أتت ومعها أناء فيه إدام وطعام ، فإذا أتتك فاقرء عليها السلام من ربها ومنِّي ، وبشِّرها ببيت في الجنة من قصب (أى لؤلؤ مجوف واسع كالقصر) لا صخب فيه ولا نصب» متفق عليه .

وكيف ننسى هذه المرأة الصالحة عرفها تاريخ الإسلام بأم المؤمنين السيدة خديجة وموقفها من النبي ﷺ حينما أسلمت على يديه وواسته وشجعته عند نزول آيات الوحي الأول فرجع بها رسول الله ﷺ من غار حراء وهو يرجف بوادره ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال ﷺ : «زمِّلوني زمِّلوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي .... فقالت خديجة (تسلية له ﷺ) : كلَّا والله مايخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكلَّ ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ...» طرفا من الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه .

سبحان الله ! ثم لتشجيع زوجها سيد الرسل ﴿ﷺ﴾ مرة ثانية ولمزيد من التسلية له تذهب به ﴿ﷺ﴾ إلى ابن عمها ورقة ابن نوفل ، «وكان امرءً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء أن يكتب»

وكيف لانخاطب المرأة

لقد رفع النبي ﴿ﷺ﴾ من شأنك على كل نعيم الدنيا فقال : «خير متاع الدنيا المرأة الصالحة» رواه مسلم في كتاب الرضاع .

والمرأة المسلمة هي المرأة العالمة ، فهذه أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما زوج النبي ﴿ﷺ﴾ ، الفقيهة الرَّبانية ، المبرأة من فوق سبع سماوات .

ألا ! أنها ملأت أرجاء الأرض عِلماً ، وقال الزهري عنها : «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل» .

وأخرج ابن سعد ٤ /١٨٩ : «..... قال : كانت عائشة رضي الله عنها أعلم الناس يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾» .

وعنده أيضاً عن أبي سلمة قال : مارأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، ولا أفقه في رأي إن احتيج إلى رأيه ، ولا أعلم بآية فيما نزلت ، ولا فريضة من عائشة رضي الله عنها .

وأخرج ابن سعد ٤ /١٨٩ عن محمود بن لبيد قال : كان أزواج النبي ﴿ﷺ﴾ يحفظن من حديث النبي ﴿ﷺ﴾ كثيراً ، ولا مثلا لعائشة وأم سلمة رضي الله عنهما ، وكانت عائشة تفتى في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما إلى أن ماتت يرحمها الله ، وكان الأكابر من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ عمر وعثمان بعده

يرسلان إليها فيسألانها عن السنن» اهـ . حياة الصحابة ٧٩٩ /٣.

وتأملي أختي العزيزة ! الموقف العظيم الذي وقفته أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، وكيف استطاعت بذكاءها الخارق وحكمتها الربانية أن تخرج برأيها ومشورتها النبي ﷺ والمسلمين من القلق والاضطراب الشديد الذي خفي على كثير من الرجال الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ ، وذلك حينما خرج رسول الله ﷺ يريد العمرة وزيارت البيت ولا يريد قتالا ، فمنعهم أهل مكة عن أداء العمرة فغضب المسلمون غضباً شديداً حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غماً وقلقاً .

وذكر قصة الحديبية الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤ /٢٠٠ كما رواه البخاري في صحيحه من رواية الزهري وهي :

قال الزهري قال عمر رضي الله عنه : ..... قال : لما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه : «قوموا فانحروا ثم احلقوا» قال : فوالله ماقام منهم رجل (لشدة الغضب والغم) حتى قال ﷺ ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل ﷺ على أم سلمة رضي الله عنها ، فذكر لها مالقي من الناس ، قالت له أم سلمة رضي الله عنها : يانبي الله ! أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج رسول الله ﷺ ولم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحر بدنته ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأو ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غماً ...» اهـ .

فانظري ياأمة الله ! إلى ذكاوة أمك السيدة أم سلمة رضي الله عنها كيف أخرجت بمشورتها الأمة المسلمة من قلق واضطراب الذي خفي على كثير من الرجال من أصحاب محمد ﴿ﷺ﴾ .

أختي الفاضلة : وهذه أمك أم حبيبة زوج النبي ﴿ﷺ﴾ لقد سجل التاريخ لها موقفاً من مواقف الإيمان لم تزل الدنيا تردده فقبيل فتح مكة جاء أبو سفيان والدها إلى المدينة النبوية ليصلح ما أفسدته قريش حين أعانت بكراً على خزاعة ونقضت عهد الحديبية ، فدخل على ابنته أم حبيبة زوج رسول الله ﴿ﷺ﴾ ليستشفع بها إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، وتفاجأت بدخوله بيتها ، وهي التي لم تكن رأته مذ هاجرت إلى الحبشة ، فوقفت واجمة بعد أن نمى إليها خبر نقض قريش للعهد ، فلما رآها على حالها من الوجوم أعفاها من السلام ، وذهب ليجلس على فراش رسول الله ﴿ﷺ﴾ دون استئذان فأسرعت وسحبت الفراش وطوته ، فبهت لما رأى من فعلها ، وقال : يابنية ! ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت بهذا الفراش عني ؟ فأجابته : بل رغبت بهذا الفراش عنك . هو فراش رسول الله ﴿ﷺ﴾ وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﴿ﷺ﴾ . فكانت صدمة شديدة الوقع على نفسه لم يكن يتوقعها من أقرب الناس إليه فرد عليها قائلا : لقد أصابك بعدي يابنية ! شر .

ولا بد من وقفة تأمل . ترى هل أم حبيبة رضي الله عنها تجهل مكانة الأب في القلب ؟ أم أنها تعلم ؟ فلم إذاً تتصرف هذا التصرف ؟ لقد حزنت على أبيها كيف آثر الكفر وهي

تتمنى إسلامه وتخليصه من الشرك . فلم يكن أمامها أن تصنع إلا الذي صنعته لتريه أن الإسلام فوق مكانة الأبوة والبنوة ، وكم كانت تتمنى أن يتمكن الإيمان من قلب أبيها بعد نزول قوله تعالى :

عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

الممتحنة : ٧

ولقد حقق الله أمنيتها ومنَّ على أبيها بالإسلام فأسلم وغدا من الذين قال الله تعالى فيهم :

رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ المائدة : ١١٩

أختي الفاضلة ! وهل تعرفين من أجبر سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه على أن يقول : «أصابت امرأة وأخطأ عمر» أو قال : «كل أحد أفقه من عمر» .

قد ذكر هذه القصة ابن الجوزي في مؤلفه : «تاريخ عمر بن الخطاب» رضي الله عنه ص ١٧٣ وهي :

في أثناء خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد فتح الله على المسلمين أراضي كثيرة واتسعت أرزاقهم ، فغالى الناس في المهور ، فخاف عمر مغبة ذلك ، وأراد أن يضع حداً معيناً للمهر لا يتعداه الناس ، فصعد على المنبر وقال : أيها الناس ! لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية من الذهب وإن كانت بنت ذي القصعة - وكان يعني بذلك يزيد بن الحصين وكان في ذلك الوقت أغنى الأغنياء - فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال» .

فردت عليه امرأة من صف النساء المتواجدات في المسجد قائلة : «كيف تصنع هذا ياعمر ؟! والله سبحانه وتعالى يقول :

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾

النساء : ٢٠

فما كان من عمر إلا التراجع عن قوله قائلا : «أصابت امرأة واخطأ عمر» اهـ.

وفي رواية : فقال عمر : «كل أحد أفقه من عمر» مرتين أو ثلاثة ، ثم رجع إلى المنبر فقال للناس : «إني نهيتكم أن تغالوا في صدق النساء ، ألا ! فليفعل رجل في ماله مابدا له» أخرجها سعيد بن منصور في سننه ١ /٣ /١٦٦ والبيهقي في السنن الكبرى ٧ /٣٣٣ .

وذكر صاحب المشكاة في «الإكمال في أسماء الرجال» في ترجمة سيدنا عمر رضي الله عنه وقال :

قال داود بن الحصين والزهري : «لما أسلم عمر نزل جبريل فقال : يامحمد ! استبشر أهل السماء بإسلام عمر» اهـ .

وروى ابن أبي خيثمة حديث عمر نفسه قال : «لقد رأيتني وما أسلم مع رسول الله ﷺ إلا تسعة وثلاثون رجلا فكملتهم أربعين ، فأظهر الله دينه وأعز الإسلام» ذكره الحافظ في الفتح ٧ /٥٩ .

وروى البزار نحوه من حديث ابن عباس وقال فيه : «فنزل جبريل فقال : يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ الأنفال : ٦٤ . كما ذكره الحافظ في الفتح ٧ /٥٩ .

وروى ابن أبي شيبة والطبراني .... قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : «كان إسلام عمر عزاً ، وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة ، والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر» فتح الباري ٧ /٥٩ .

وروى ابن أبي شيبة في تاريخه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفي آخره : «فقلت : يارسول الله ! ففيم الاختفاء ؟ فخرجنا في صفين : أنا في أحدهما ، وحمزة في الآخر ، فنظرت قريش إلينا فأصابهم كآبة لم يصبهم مثلها» راجع الفتح ٧ /٥٩ .

وروى ابن سعد من حديث صهيب قال : «لما أسلم عمر قال